الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي الأول ١٣٢ ـ ٢٣٢هـ / ٧٥٠ ـ ٨٤٧م

إعداد

دكتور / صلاح أحمد عثمان أحمد

٢٠١٩

المقدمة

تقع بلاد ماوراء النهر وهي المنطقة المحصورة بين نهري جيحون في الجنوب، وسيحون في الشمال، وتقع في الشمال الشرقي من حدود الدولة الفارسية القديمة، وسكانها من العنصر التركي، وبها مدينة سمرقند وبخاري وغيرها من المدن، وبدأت الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واستمرت الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

وانتشر الإسلام في مدينة بخاري وما حولها بالموعظة الحسنة وبدأ سكان هذه البلاد في تعلم اللغة العربية حتى أصبحت بخاري عاصمة العلم ومنارة من منارات الإسلام ومن أهمية هذه الفتوحات انها مهدت لظهور إستقرار سياسي ومظاهر للحضارة في العصر العباسي الأول مع دور كبير لسكان ما وراء النهر في نجاح الدعوة العباسية وكذلك دور أتراك ماوراء النهر في الدعوة العباسية والنهضة السياسية والحضارية ، وأصبحت بلاد ماوراء النهر قطراً اسلامياً خالصاً وتأثر سكانه بالتقاليد والثقافة الإسلامية وبذلوا كل الجهد لنشر الإسلام بين الأتراك الشرقيين وأدي ذلك لازدهار المنطقة في ظل الدويلات المستقلة من الناحية السياسية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية.

وأسباب اختياره:

- الوقوف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بلاد ماوراء النهر.
- الدور الحضاري بلاد ماوراء النهر وتأثيره فيمن حوله .
- الوصول الى اهم الشخصيات التى تشكل على يديها بلاد ماوراء النهر.

هدف البحث:

يلقي البحث الضوء علي أهمية بلاد ماوراء النهر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، والحضارة الإسلامية.

منهج البحث:

يقوم البحث علي المنهج التاريخي القائم علي الوصف وذلك بجمع المادة التاريخية من مصادرها واخضاعها للتحليل والنقد.

وقد اقتضت طبيعية الدراسة تقسيمها إلى:

- الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول ،(الزراعة – الصناعة - التجارة – العملة – الإقطاع)،

- الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول ، (طبقات السكان – المرأة – الرق – الملبس – المأكل – الزواج)

الخاتمة وماتوصل اليه الباحث من نتائج .

الحياة الاقتصادية في بلاد ماوراء النهر في العصر العباسي الاول :

الزراعة :

كان في بلاد ماوراء النهر نهر جيجون وكان العامل الأساسي وراء خصوبة أراضيها وكانت الزراعة في بدء استخدامها بدائية فقد حفرت الارض بالقرب من مجاري الأنهار لتوجيه المياه من سطح الارض إلى الأرض المزروعة المطلوب ريها كما استخدمت السدود ايضاً لتجميع المياه ، وقد فكر النرشخي

فصلاً كاملاً في كتابة تاريخ بخاري لأنها المدينة وذكر من هذه الانهار نهر يسمى شابور كام . (١)

وذكر أن اثنى عشر نهراً في بخاري ولكل نهر رساتيق كثيرة وماء غزير ويروى أن كل هذه الانهار حفرها الناس ما عدا نهر عاد خنفر فإنه نهر طبيعي حفره ماؤه دون جهد من الأهالي(٢). والحاصلات الزراعية منها القطن والفواكه مثل العنب والتفاح والتين والبطيخ ، الرياحين الورد والبنفسج والزعفران(٣) والسمسم والحنطة (٤).

الصناعة :

في بلاد ماوراء النهر قد اشتهرت سمرقند عبر التاريخ العديد من المنتجات مثل المنسوجات والسجاد إلا أن أشهر ما عرفت به هو الورق السمرقندي وقد نقلت صناعته من الصين ولقد بدأت هذه الشهرة عندما قام أهل إقليم بخاري بثورة في عهد أبي مسلم الخراساني فبعث بحملة قوامها عشرة آلاف رجل بقياد زياد بن صالح حيث قضى على الثورة في مدينة بخاري واستمر في زحفه إلى أن أخضع أيضاً ثورة سمرقند وكان الصينيون يساندون الثوار ضد العرب المسلمين وقد وقع الكثير من الصينين في الأسر وخيروا بين الرق أي العبودية وبين الحرية إذا علموا المسلمين حرفة فأثروا العتق وعلموا المسلمين ومن بين ما علموهم صناعة الورق ومع مضي الزمان تقدمت هذه

(١) مصطفى كسبة : المسلمون في آسيا الوسطى، ج١، ص ص ٧٣-٧٤

(٢)النرخشي: تاريخ بخاري ، ص ٥٤

(٣) المرجع نفسه، ص٣٦

(٤)مصطفى كسبة : المسلمون في آسيا الوسطى،ج٢، ص٣٨٠

الصناعة باستخدام الكتان والقطن في صناعة الورق الابيض الناعم ووجد سوقاً رائجة في العالم الاسلامي وبخاصة عاصمة الدولة العباسية ببغداد أن تعلمه المسلمون وانتقل من بلادهم إلى العالم كله .(٥)

اشتهرت بخاري ومدن المنطقة زراعياً ووجد بها كثير من المعادن والتي يأتي في مقدمتها الحديد والنحاس والزنك والزئبق والنفط والنوشادر الخام وزيت الزاج والفحم الحجري والذهب والفضة ويستخدم النحاس الاصفر في طلاء المنائر وسك العملة والأواني النحاسية وفي صناعة القصدير والزنك مكوناً سبائك البرنز التي تدخل في صناعة الادوات الثقيلة والاسلحة(٦).

وكذلك معدن الزنك التوتيا والفحم الحجري ووصف بأنه حجارة تحترق كالفحم واشتهرت بالاحجار الكريمة مثل البجادي شبية الياقوت ولكنه لا يضيء غالباً وأقل حرارة ويبساً من الياقوت ومنه الأحمر والأصفر ومعدن الشب والزمرد وكان يباع الشب أو اليابس بدينار إلى ثلث دينار وسمرقند أقل في المعادن من بخاري واشتهرت بإنتاج نوع جيد من النوشادر والزئبق وبها بعض الذهب والفضة(٧)

وقد اهتم الخلفاء العباسيون وأمراء الاقاليم بدور الطراز فأنشأت تلك الدور مثل دار الطراز ببخاري منها منسوجات خاصة بالخلفاء ومن يخلع

---

(٥)فامبري: تاريخ بخاري، ص٣٣

(٦)المقريزي : رسالة المقاصد النسبة في معرفة الاجسام المعدنية، ص٢٢١.

(٧)**التيفاشي: ازهار الافكار في جواهر الاحجار ، ص٣٩**

عليهم من كبار رجال الدولة وأفراد حاشيته واهتم المتوكل الخليفة[٨] بذلك فظهر نوع من الثياب المتوكلية ودار صناعة للحرير بالقرب من المسجد الجامع ولتنتج الوسائد والبسط والسراداقات وسجاجيد الصلاة مختلفة الالوان وصناعة الصوفة وصناعة الجبن وصناعة الحذاء (النعال) من جلود الحيوانات ودبغ الجلود[٩] وصنع الحلوى المحشوة وصنع الاثاث من الاخشاب والسيوف والرماح من الحديد والكتان صناعته أقل من القطن واشتهرت سمرقند بالثياب في مدينة وذار كانت تسمى الثيابةالوذارية القطنية تصدر لفارس والعراق وسائر الاقطار لدقة صناعتها وصناعة الملابس الصوفية فصناعة الزجاج والفخار والاخشاب والحديد والمعادن والورق . [١٠]

التجارة :

كانت مدن بلاد ماوراء النهر ضخمة تمتاز بخصائص طبيعية بل كانت سوقاً رئيسياً تلتقي فيها البضائع مع سائر جهات آسيا فضلاً عما كان بها من مصانع كبيرة للحرير والمنسوجات القطنية وأجود أنواع الابسطة والمصنوعات الفضية والذهبية من كل نوع[١١]وهذه الاشياء ساعدت على جذب التجار إليها من كافة الأنحاء واشتهرت بالأسواق[١٢]

---

(٨) المسعودى :مروج الذهب، ج٤ ، ص ٨٣

(٩)النرشخي: تاريخ بخاري، ص٣٧

(١٠)السمعاني : الانساب، ص ص ٥٣٣-٥٣٤

(١١)فاميري : تاريخ بخاري ، ص ٢٥

(١٢) الادريسي : نزهة المشتاق، ج١، ص٤٩٤

اسواق بخاري- اسواق الطواويس – سوق اسكجكت– سوق جرغ– سوق زندنه – سوق وردانه– سوق بيكند– سوق ورخشة– سوق بمجكث– سوق مغكان – سوق افشنة– سوق غجدوان– سوق خجادة – سوق سمرقند – سوق اشنيخن– سوق رأس الطاق –أسواق كش- أسواق نسف . كذلك وجمع مدن بلاد ماوراء النهر فكانت التجارة مزدهرة جداً لكثرة الاسواق والقوافل التجارية داخلياً وخارجياً .

العملة :

وقد استفاد سكان بلاد ماوراء النهر من وجود دار سك للعملة في ديارهم فظهر من السكان من يعمل بحرفة الصيرفة [١٣]والدراهم كانت على ثلاثة أنواع وهي الغطريفية والمحمدية والمسيبية وهذه الدراهم نسبت إلى ثلاثة من الولاة في عصور مختلفة وهذه الدراهم هي أول سكة إسلامية يتم ضربها في هذه البلاد وإن نقود أهل بخاري الدراهم ولا يتعاملون بالدينار فيما بينهم [١٤].

الحياة الاجتماعية في بلاد ماوراء النهر في العصر العباسي الاول:

طبقات المجتمع :

عندما كان أغلب سكان خراسان وما وراء النهر من الفرس فإنهم عاشوا في ظل هذا النظام الطبقي الذي كان يقيس مراتب الناس بمقاييس مختلفة في العهود المختلفة ففي بعض العهود كانت مراتب الناس بحسب أعمارهم فأكبرهم سناً أعلاهم مجلساً وفي عهود أخرى كانت مراتبهم بحسب الغني والثروة أو بحسب

(١٣) السمعاني :الانساب ،ص ٣ ، ص٥٧٤

(١٤)الأصطخرى:المساك والممالك ،ص ١٧٥

العقل والحكمة أو البأس والنجدة أو الحسب والنسب وعندما دخل الإسلام مجتمع الصغد وما وراء النهر أحدث تغيراً اجتماعياً كبيرا في حياة الناس وجاء بمبادئ أطاحت بعادات سيئة كانت راسخة عندهم وكان من أهم المبادئ التي جاء بها الإسلام المساواة وتكافؤ الفرص فقد كان لهذين المبدأين أثرهما في محو فكرة الطبقة القديمة التي كانت سائدة قبل الإسلام في هذا المجتمع ليظهر بذلك نوع جديد من الطبقات على أساس المساواة وتكافؤ الفرص والعدل الاجتماعي فقد قرر الإسلام أن من طبيعة البشر أن يتفاوتوا في القدرات مما يؤدي إلى وجود درجات بينهم لكن هذه الدرجات أو الطبقات ليست حكراً لأحد وإنما لكل مجتهد نصيب [١٥].

الطبقة العليا :

بالنسبة لمجتمع بلاد ماوراء النهر كان يتألف من الولاة والحكام المسلمين والأشراف وهم أبناء الولاة المسلمين والخلفاء العباسيين الذين وفدوا إلى إقليم الصغد وقد حظوا بمكانة مميزة حيث إنهم متميزون بكرم النسب وشرف الأدب فقاموا بتكريمهم ومنحهم معاشاً خاصاً فضلاً عن إعفائهم من الضرائب وبعض رجال الدين المجوس وغيرهم مثل طبقة الدهاقين وهي كانت على رأس الطبقات الاجتماعي في الريف وهم من ملاك الأراضي فهم وإن كان قد ضعف نفوذهم السياسي إلا أنهم احتفظوا لأنفسهم بوضع اجتماعي خاص بصفتهم من الاقطاعيين وفي نفس الوقت ممثلين للحكومة الاسلامية في جمع وتحصيل الضرائب وكان أفراد هذه الطبقة يقيمون في كبرى المدن وكانوا يتزينون بزي

(١٥)عبد الباري الشرقاوي : الحياة الاجتماعية والفكرية في خراسان وما وراء النهر،ص ص ٩٥-١٠٠

يميزهم عن سائر طبقات المجتمع الاخرى وكانوا يسرفون في الإنفاق على طعامهم [١٦]

الطبقة الوسطى :

أما الطبقة الوسطى فكانت تضم العلماء والادباء أي رجال العلم والتجار فيعتبر العلماء في الإسلام ورثة الانبياء ولذلك قد لعبوا منذ البداية دوراً خطيراً في المجتمع الاسلامي كما كانوا يتمتعون بالتجلة والاحترام التام وكان عدد كبير منهم بعيدين كل البعد عن وظائف الدولة بل دابوا على رفض العون منها والمشاركة في أعمالها [١٧] وتقلدوا المناصب القضائية والعلمية في الدولة فمنهم القضاة والخطباء في المساجد ومنهم اصحاب الطرق والمذاهب الدينية والادباء وغيرهم وهم بذلك كانوا يمثلون أعلى طبقة من المفكرين والمثقفين في الدولة وكان للعلماء تأثيرهم في المجتمع [١٨]وهذا ما اعطاهم مكانة خاصة في المجتمع الاسلامي وأهلهم لكي يلعبوا دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم بل صاروا لساناً للعامة وممثلين لهم تجاه الحكام وهكذا كان نفوذهم كبيراً في المجتمع إذ هم حماة الدين والأمناء على شريعة الله[١٩].

أما فئة التجار فكانت أقل مكانة في هذه الطبقة من جانب الشعوب المحاربة فكان الامويون ينظرون للتاجر نظرة أقل شأناً من المحاربين الفرسان وامراء

---

(١٦)الرواندي : راحة الصدور ، ص ٢٦٠

(١٧)منير الدين احمد ، تاريخ التعليم عند المسلمين ،مشتقاه من تاريخ بغداد ، الرياض ، ص١٠٣

(١٨)محمد حسن العماري : خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٧٦

(١٩) منير الدين احمد ، مرجع سابق ،ص ص ١٠٩ – ١١١

الإقطاع حتى لا نجد للتجار شأناً في تاريخهم لأنهم يجمعون ثروتهم من الحبات والقراريط والدوانيق وارباع الدراهم وانصافها وابتعدت الاسر الرفيعة عن الاشتغال بالتجارة لأن التاجر في درجة اجتماعية أدنى من الدرجة التي يتطلع إليها الاشراف ولكن عامة الشعب كانوا يحترمونهم وحتى الاشراف كانوا بعد ذلك في حاجة إلى إرضائهم(٢٠).

وكان أغلب التجار يدينون بالإسلام وكان التجار نوعين الأول التجار الموسرون ذو الثراء الواسع الذي يصل إلى ملايين الدنانير والنوع الثاني هم باعة المواد الاستهلاكية لسد حاجات الناس اليومية والذين يعيشون بالكاد وقد استطاع كثير من التجار أن يجني ثروة كبيرة من التجارة لذلك ارتفع مستوى معيشتهم وامتلكوا القصور وربما لهذا الثراء الذي وصل إليه التجارة وتحسين حالتهم قد لجأ

إليه بعض الخلفاء لسد العجز في بيت المال مثل الخليفة المقتدر الذي احرجته الضرورة إلى طلب مساعدة بعد التجارة اليهود.(٢١)

الطبقة الدنيا :

وهي تتألف من الصناع والحرفيين والزراع وعامة الشعب والرقيق أما الصناع وأرباب الحرف فكان العرب المسلمون ينظرون إليهم نظرة إمتهان حتى القرن

---

(٢٠)الاصطخري : المساك والممالك ، ص ٧٨

(٢١)وليم الخازن: الحضارة العباسية، ص ٨٥.

الثالث الهجري ثم تغيرت هذه النظرة فأصبح ينظر إليها وإلى القائمين بها نظرة تقدير.[٢٢]

ويؤلف الحرفيون والصناع فئة نشطة في المجتمع العباسي على اختلاف عناصرهم وطوائفهم لكن هذا لم يمنع من تكتل افراد كل صنعة أو حرفة في سبيل تنظيم مصالحهم المشتركة من ناحية والدفاع عن تلك المصالح من ناحية أخرى وقد عاش معظم هؤلاء معيشة متوسطة في المدن لا هم بالاغنياء الموسرين ولا هم بالفقراء المعدمين ومن ضاقت به الحال أحياناً ساهم بدور فعال في الحركات التي قامت ضد الحكومة أملا في تحسين وضعهم[٢٣] وكان المزراعون ايضا على الرغم من اختلاف عناصرهم وأجناسهم يتكتلون للدفاع عن المشتغيلين بمهنتهم كذلك كانوا يستغلون التدهور الاقتصادي في الدولة أو حدوث اضطرابات سياسية فيهجر المزراعون أراضيهم ويهاجرون إلى المدن الاخرى هرباً من السلب والنهب الذين كانوا يتعرضون له.[٢٤]

أما العامة فقد تشكلت هذه الطائفة من جميع الأجناس ولم يكن لهم مكانه في المجتمع فقد وصفهم بعض الكتاب بالجهل في الامور الدينية وفي النواحي الثقافية وأطلق عليهم عدت تسميات منها السفلة والغوغاء وهناك جماعة من العامة أطلق عليهم العيارون والشطار تميزت حركتها بالطابع الثوري وبخاصة ضد السلطة الحاكمة واصحاب الاموال وكانت تضم بين صفوفها مختلف

---

(٢٢)صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في القرن الثاني الهجري في البصرة، بغداد، ١٩٥٣م، ص ٢٧١.

(٢٣) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي، ص ٢٥٥.

(٢٤)البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٦٩.

الأجناس والطوائف وكان لهم تنظيم مدني يشمل النواحي الادارية الداخلية ويجتمعون في مكان بعيد عن الأنظار ولهم طقوس ومراسم لا بد من أدائها لمن أراد الدخول في تنظيمهم ولهم لباس يتميزون به عن بقية الناس.[٢٥]

وكان آخر طبقات الهيئة الإجتماعية (الرقيق)

وقد احتفظ الإسلام بنظام الرقيق السامي القديم الذي أقرته التوراة من قبل،ومع أن الإسلام أوصى بإصلاح شأن العبيد ولكن لم يكن من حقه أن يعتق بمجرد دخوله الإسلام(٢٦) وكان يقوم هؤلاء الرقيق بأعمال وخدمات مختلفة في بيوت الامراء والاغنياء ورجال الدولة(٢٧) وكانت حياة هذه الطبقة تتسم بالبساطة في المأكل والملبس وكانوا يفترشون الحصر على التراب ويلبسون المدرعة المصنوعة من الصوف وكانت مساكنهم تبنى من الجص والآجر وتسقف بجذوع النخل وأغصان الشجر كما سكنوا في الخيام المستديرة الشكل.[٢٨]

الطوائف الدينية التي سكنت اقليم بلاد ماوراء النهر :

---

(٢٥) فهمي عبد الرازق سعد: العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري، بيروت ١٩٨٣م، ص ٦٦.

(٢٦) مترز :الحضارة الاسلامية، ص ٢٩٨، ص٢٩٩.

(٢٧)العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٩٢.

(٢٨)الموارديِ: الأحكام السلطانية، ص ٢٥٥.

كانت الطوائف الدينية في بلاد ما وراء النهر منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال وكان لا يجوز لمسيحي أن يتهود ولا لليهودي أن يتنصر واقتصر تغيير الدين على الدخول في الإسلام.٢٩

وكان أعلى الطوائف الدينية بطبيعة الحال هم طائفة المسلمين الحاكمة المؤلفة من العرب الفاتحين وكان يلي هذه الطائفة طائفة الموالي أي المسلمون من غير العرب وهم من قبلوا دعوة الإسلام طوعاً واصبحوا يتمتعون بحقوق الرعاية الاسلامية ثم تأتي بعدها طائفة أهل الذمة وأفراد هذه الطائفة هم من أهل الكتاب ابناء الاديان المنزلة أي النصارى واليهود ثم الصابئة.[٣٠]

عادات وتقاليد بلاد ماوراء النهر:

إن سكان بلاد ماوراء النهر تشتمل نفوسهم على أحلى الصفات كالكرم والشهامة والاعتداد بالعزة فهم يحبون الغريب إذا قدم اليهم فقد وصفهم ابن حوقل قائلاً وأما سماحتهم فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأنهم في دار واحدة ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل دار نفسه لا يجد المضيف من طارق في نفسه كراهة بل يستفرغ مجهوده في إقامة وده من غير معرفة تقدمت وكان هم كل واحد فيهم بناء منزل للاضياف وتراه جاهزاً لمن يطرق عليه الباب من واجب الضيافة.[٣١]

---

(٢٩)متز: الحضارة الاسلامية ، ص ٥٩.

(٣٠) فيليب حتى: تاريخ العرب، ص ٢٩٩.

(٣١)ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥.

الطعام :

شكل الخبز واللبن الغذائين الاساسين وكان خبزهم يشكل أرغفة رقيقة مستديرة[٣٢] وفي بعض الاحيان كان الخبز الجاف مع البصل او الحساء طبقاً لوضع الاسرة هو طعام الافطار عندهم وكانوا يربون الغنم والماعز بالقرب من ديارهم وخيامهم ويسمنونها وبعد ذلك يقومون بذبحها في المناسبات الهامة مثل الاعياد وحفلات الزفاف وغيرها[٣٣] وعندهم السمن والزبد والالبان كثيرة وينتجون الخيل كثيراً ويأكلون لحومهما ولا يفضلون على طعامها شيئاً من اللحوم.[٣٤]

وكانوا في الاعياد يأكلون أنواعاً خاصة من الطعام مثل عيد المهرجان ففيه يأكلون الدجاج المشوي على الاسياخ والخصى والبيض المسلوق وغير ذلك من المحمرات أما طريقة تناول هذا الطعام فهي الاستلات بأصابع اليد وكان من عاداتهم ايضا أكل القديد وهو اللحم المجفف.[٣٥]

وكان لكل طبقة طعامها ايضاً فمثلاً الطبقة العليا فتأنقوا في الطعام وتفننووا في ألوانه واسرفوا في إعداده وحرصوا على التزيين للموائد بالورود والرياحين

---

(٣٢)متز: الحضارة الاسلامية، ص ٢٩٦.

(٣٣)عبد العزيز عوض الله: بين التركمان، ص ٤٧٨.

(٣٤) الأدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٥١٨.

(٣٥) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص ١٣٥- ٥٤١.

فكانوا يصنعون أنواعاً مختلفة من الحساء والشواء والحلوى المختلفة الانواع.[٣٦]

اما الطبقة الوسطى فكان طعامها يتكون عادة من الحنطة والشعير وما يصنع منهما وكان الارز يصحب أكثر الاكلات ايضاً ويدخل فيها وكان اللحم واللبن ايضا متوفرين في طعام هذه الطبقة.[٣٧] اما الطبقة العامة والفقراء فكان يتكون طعامها من خبز الشعير والدبس والخل وكان يتصدق عليهم في مناسبات الافراح والاعياد ويدفع لهم الصدقات والموسورون وكبارجال الدولة.[٣٨]

الزي :

كان في ظل الاسلام لكل فئة معينة زي خاص ليس من أجل التفاضل بينهما وإنما من أجل خدمة المجتمع كزي صاحب الشرطة والقاضي وغيره أما باقي الشعب فمن حقه أن يرتدي أي زي يعجبه ما دام يوافق الشروط العامة المتمثلة في عدم كشف العورة لكل من الرجل والمرأة [٣٩] فكان الشخص يعرف من زيه صناعته وطبقته لقد اختلفت الملابس ايضا بين العامة باختلاف الاماكن فلباس البدوي غير ملابس ساكني المدن وقصبات الاقاليم فكان لباس البدوي مثلا من شعر الماعز والضأن وكانت ملابس الوالي تحتوي خلعة الواحد منهم على قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة وملابس الفقهاء والاعيان تحتوي على الطيالس من فوق العمائم في الشتاء ثم يلبس دراعه في الطيلسان ولا

(٣٦) محمد حيدر: الأوضاع الاقتصادية في العراق والمشرق، ص ٣٢٠.

(٣٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٦٥.

(٣٨) الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٦٢.

(٣٩) ابن قتيبه، عيون الأخيار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٥م، ج١، ص ٢٩٦.

يغطي الرأس بها. [٤٠]فكان القاضي يرتدي السواد شعار العباسيين ويعتم بعمامه سوداء على قلنسوة طويلة وكانت القلنسوة السوداء في القرن الثالث الهجري خاصة هي التي تميز القضاة.[٤١]

أما ملابس الجند فكانت تتألف من العمامة والقباء والسروال والنعال بالإضافة إلى المنطقة والجهة والقميصة والبيضة وكان قتيبة بن مسلم يمشي إلى الحرب عليه عمامة خز خضراء متقلداً شيئاً عريضاً قصير الحمائل.[٤٢]

وكان هناك ملابس تتميز بها طبقات معينة من الشعب كل حسب حالته فمثلاً كانت ملابس الطبقة الراقية تتألف من سروال فضفاض وقميص ودراعه وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وعباءة أو جبة[٤٣] وكان الأغنياء من الرجال والنساء يلبسون الجوارب المصنوعة من الحرير او الصوف أو الجلد ويسمونها موازج وكان هذه الاحذية تصنع بطريقة تشبه النعال التي تلبس داخل المنزل وكانوا يلبسون الاحذية شتاءا عند ركوبهم الخيل والنساء أيضاً كانو يلبسونها[٤٤] كان يخلعون هذا النعال أو الاحذية الخارجية المسمى الجرموق عند دخول المساجد.[٤٥]

---

(٤٠)البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٥٧.

(٤١)حسن إبراهيم:تاريخ الإسلام، ج٣، ص ٣١٧.

(٤٢)متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٣٩٩.

(٤٣)حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٣٤٩.

(٤٤)عبد العزيز عوض: بين التركمان، ص ٤٦٩.

(٤٥) متز: الحضارة الإسلامية ، ص ٢، ص ١٥٥.

أما ملابس العامة فلم يكن لهم لباس خاص يتميزون به عن الطبقات الاخرى ومن الملابس التي اعتادوا إتخاذها لباس الرأس وهو عبارة عن العمامة الملونة والمدرعة المصنوعة من الصوف عادة والسراويل البيضاء المزيلة والإزار والفوط وهي خاصة بالخدم منهم وكان لباس الفلاحين مصنوعاً من القطن الغليظ ويعرف بالاسمال والخلقان والخف والنعال(٤٦)

كان هناك أيضاً لباس للمرأة خاص بها وكان يختلف ايضاً من طبقة إلى اخرى وكان لباس المرأة يتكون من ملاءة فضفاضة وقميص مشقوق عند الركبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة في البرد وعند الخروج من بيتها ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها وتقي ملابسها من التراب.(٤٧)

وكانت هناك ايضاً ملابس الزهاد والمتصوفة المصنوعة من الصوف الخشن(٤٨) وكانوا عادة يلبسون الثياب الملونة بالازرق وغيره وأحياناً يلبسون المرقعة ولعل مرجع ذلك إلى رغبتهم في التمييز عن غيرهم بإظهار الزهد والعزوف عن الدنيا.

أما لباس أهل الذمة فكان يختلف من خليفة إلى آخر فغالباً إنها كانت تعليمات لا تنفذ كلها لأنها صارمة جداً ومنها أن يرتدوا الزنار حول أوساطهم ويكون

---

(٤٦) فهمي عبد الرازق، العامة في بغداد، ص ٢٣٣.

(٤٧) سناء عبد الرحمن بلال، الملابس في العصرين القبطي والإسلامي، دار النهضة، القاهرة ١٩٨٢م، طبعة ١، ص٢٤.

(٤٨) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص ٨٦٣.

الزنار رفيعاً جداً وذلك في عهد هارون الرشيد وكان اليهود يلبسون البراطيل وهو غطاء للرأس وكان النصارى يلبسون البرانس.(٤٩)

وفي عهد المتوكل فرض عليهم ان يرتدوا الطيالسة العسلية وأن يرقعوا اللباس لرجالهم برقعتين تخالفان لون الثوب ولون الواحدة غير لون الاخرى وكانت الملابس ايضاً وألوانها لها وظائف أخرى في الحياة الاجتماعية فكان اللون الابيض مثلاً هو لون رسم العزاء في العصر الغزنوي أما في عهد السلاجقة فكان يستخدم اللون الاسود حداد على المتوفي.(٥٠)

فكانت عمامة المسلم تمتاز باللون الابيض أما عمامة الاقباط واليهود فكان لونها أزرق أو أسود أو رمادي وكان الاحمر في حالة الزينة والطرب وأوقات السرور.(٥١)

المرأة :

كانت المرأة التركية تعامل بتبجيل واحترام بين بني جنسها وكانت المرأة لها وظيفة أيضاً تقوم بها في المجتمع الشاشي وفي الحياة اليومية ويعتبر نساء العامة وهم الذين يقومون بهذه الادوار مثل قيامهم كل يوم بطحن الحبوب التي تشكل الغذاء الرئيسي للعائلة في الطاحون وغزل الحرير وتفتل الخيوط من الصوف ومن القطن وتنسج الاكلمة وتخيط الملابس وتسبك الاقمشة الكشميرية وتؤسس الخيام وتهدمها وتحمل المياه وتغسل الملابس وتصبغ الاصواف

---

(٤٩)متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٨٣-٨٤.

(٥٠)الرواندي: واحة الصدور، ص ٢٧٥.

(٥١)المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص ١٠٢.

والحرير وتنسج السجاد وفي المواسم التي يكون الجو فيها معتدلاً فإن النساء يقمن بتأسيس مشاغل بسيطة للخياطة في الهواء الطلق خارج الخيمة.[٥٢]

الخاتمة وأهم ما توصل إليه من النتائج:

توصل الباحث من خلال دراسته هذه لعدد من النتائج المهمة منها:

إن سكان بلاد ماوراء النهر تشتمل نفوسهم على أحلى الصفات كالكرم والشهامة والاعتداد بالعزة فهم يحبون الغريب إذا قدم اليهم فقد وصفهم ابن حوفل قائلاً وأما سماحتهم فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأنهم في دار واحدة ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل دار نفسه لا يجد المضيف من طارق في نفسه كراهة بل يستفرغ مجهوده في إقامة وده من غير معرفة تقدمت وكان هم كل واحد فيهم بناء منزل للاضياف وتراه جاهزاً لمن يطرق عليه الباب، وكانت بلاد ماوراء النهر تضم بين صفوفها مختلف الاجناس والطوائف ولهم لباس يتميزون به عن بقية الناس.

واظهر البحث ان اقليم بلاد ماوراء النهر من اهم الاقاليم مساندة للدعوة العباسية ، وكانت الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تقدم وازدهار، وكان للمسجد دورا كبيرا في نشر الدعوة الاسلامية التي اخرجت بعد ذلك الامام البخاري والفارابي والترمذي ، وقد اهتم العباسيين بالاقليم مما ساعد في تقدم الزراعة ووجود فائض من المحاصيل الزراعية ، وكذلك وازدهار التجارة والصناعة، وان كان يرجع الفضل للدولة الاموية في فتح أقليم الصغد، الا أن الدولة العباسية كان لها الدور الاكبر في نشر الدعوة الاسلامية واستقرار الفتح وانتشار الاسلام في أقليم الصغد، واصبح الاقليم من اهم الاقاليم في عهد الخلافة العباسية.

(٥٢)عبد العزيز عوض: بين التركمان، ص ٤٨٣.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الطالبي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م).

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

الأصطخرى: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الكرخى ت ٣٤٦ ه/ ٩٥٧م

- المسالك والممالك دار الصادر ،بيروت ، ٢٠٠٤.

التيفاشي : أحمد بن يوسف بن أحمد القيسي (ت٦٥١-١٢٥٣م)

- أزهار الافكار في جواهر الأحجار : تحقيق: محمد يوسف حسن ، محمود بسيوني خفاجي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧م.

الجوزي "جمال الدين أبو الفرج" (ت ٥٩٧ ه/١٢٠٠ م)

- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م

ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل او محمد بن علي النصيبي أو النصيبيني (ت. ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م

- صوة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيوت- لبنان، ١٩٩٢.

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحاتة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد:(٢٧٦ه /٨٨٩م)

- عيون الأخبار، دار الكتب المصرية ،مصر،١٩٢٥

المسعودى : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٥ هـ / ٩٥٦- م)

مروج لذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية ، القاهرة ،٢٠١٧

النرشخي "أبي بكر محمد بن جعفر" (ت ٣٤٨هـ-٩٥٩م):

- تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية، وحققه د/ أحمد أمين عبدالمجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، ، دار المعارف، القاهرة، ط ٣،د.ت

ثانيا: المراجع العربية والمعربة :

آدم متز:

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبدالهادي أبور ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧

أحمد أمين:

- ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٩

احمد الشامي:

الدولة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، دار الإصلاح السعودية ، الدمام ، ١٩٨٣

حسن أحمد محمود:

الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار النهضة، ١٩٦٨م

سناء عبد الرحمن بلال:

الملابس في العصرين القبطي والإسلامي، دار النهضة، القاهرة ١٩٨٢م،

صالح العلي:

التنظيمات الاجتماعية في القرن الثاني الهجري في البصرة، بغداد، ١٩٥٣م

فامبري أرمنيوس:

تاريخ بخاري، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة – ٢٠٠٤،

فهمي عبد الرازق سعد:

العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري، بيروت ١٩٨٣م

فيليب حتى :

تاريخ العرب ، دار غندور للنشر ، بيروت ، ط ٩ ، ١٩٩٤.

عبد الباري الشرقاوي :

مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية في خراسان وما وراء النهر في القرنين ٣،٤ الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

المطهر بن طاهر المقدسي:

البدء والتاريخ مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،مصر،١٩٨٧

م.م.الرمزى :

تلفبيق الاخبار وتلقيح الاثار فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار،،قدم له ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت

منير الدين احمد:

تاريخ التعليم عند المسلمين ،مشتقاه من تاريخ بغداد ، الرياض